المقاطع الصوتية في فواتح السور القرآنية
(الحروف المقطعة نموذجا) دراسة صوتية

The phonetic syllables at the openings of the Quranic Suras
(The separate letters case witnesses - Phonetic study)

الباحثة: يمينة مختاري
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانمyamina.mokhtari@univ-mosta.dz
إشراف الأستاذ الدكتور :جيلالي بن يشو
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم: djilali.benichou@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2019/08/25 تاريخ القبول: 2019/09/25 تاريخ النشر: 2019/10/09.

الملخص: شكلت الحروف المقطعة في القرآن، الكريم ظاهرة صوتية عجيبة شغلت العلماء بمختلف شرائحهم والدراسة المقطعية لهذا النوع الخاصّ من التركيب الحرفي تكشف جوانب مهمة في تركيب فواصل السور وإيقاعها العام. مما يفسر الجوّ النفسي الذي يخيم على السورة.وإحصاء هذه المقاطع الأربعين أثبت أنها لا تخرج عن المقاطع العربية المعروفة؛ لكن الأقل استعمالا عند البشر أكثر استعمالا عند الله تعالى، وذلك جانب من جوانب الإعجاز.

الكلمات المفتاحية :المقاطع الصوتية؛الحروف المقطعة؛مخارج الحروف؛ الإيقاع الصوتي

Abstract : In the Holy Qur'an, the separated letters create an amazing sound phenomena that preoccupies many scholars in different categories and disciplines. Syllables of this special structure reveal important aspects in the composition of the Quranic breaks and their general rhythm, which explains the dominating psychological atmosphere of the Sura Within its limits and emanating from its internal sounding. The count of these forty Divine passages is inspired by the Arabic syllables and the least used by humans is more used by God.
Key words: The syllables ; phonetic ; Separate letters; the points of articulation; The sound rhythm

المؤلف المرسل: يمينة مختاري، **الإيميل**: aminamokhtari@gmail.com

تمهيد:

الحروف المقطعة حروف عربية افتتح الله بها سبحانه تسعا وعشرين سورة من سور القرآن العظيم... تقرؤ بأسمائها في التهجي على التقطيع والفصل فمثلا (الم) (ألف لام ميم) وهي أربعة عشر حرفا بغير التكرار ، وهي بذلك تعادل نصف الحروف الأبجدية العربية[1].

وقد وردت كحرف واحد مثل (ق،ن) وحرفين مثل (حم)، وثلاثة أحرف مثل (ألم، ألر، طسم)، وأربعة مثل (ألمر) وخمسة حروف مثل (كهيعص) وتكررت منها حروف في سور مثل (ألمر) في ست سور و(حم) في سبع سور، ومنها ما لم يتكرر مثل (ن)، و(ق).

جمع بعض العلماء هذه الحروف بعد حذف المكرر منها ورتبوها في جملة: "نص حكيم قاطع له سر ، أو صن سرا يقطعك حمله"[2].

ويؤكد نظام اللغة أننا بإزاء وحدات أكبر من الحروف بالمعنى الاصطلاحي المضيّق، فما اصطلح على تسميته حروفا مقطعة مكوّن في جميع صوره من أسماء الحروف التي يتضمن الواحد منها عددا من الفونيمات– نستخدم الفونيم بمعنى الوحدة الصوتية الصغرى على رأي بلومفيلد[3]– وليس من أصوات الحروف التي قد يتضمن الواحد منها فونيما واحدا.

ومن الأكيد أن العلماء الذين أطلقوا مصطلح الحرف قصدوا أسماء الحروف على عادتهم في الاختصار التي تسمح به أعراف العربية. حيث يذكر الدكتور إحسان طه ياسين[4] أن معنى "مقطعة" هو:" كل حرف ينطق بمفرده، لأن الحروف لها أسماء ولها مسميات.. فالناس حين يتكلمون ينطقون بمسمى الحرف وليس باسمه، فعندما نقول (كتب) تنطق بمسميات الحروف، فإذا أردت أن تنطق بأسمائها قلت: كاف _تاء _باء، ثم إننا نجد فواتح السور التي تبدأ بأسماء الحروف أنّ الحروف تنطق بأسمائها ، ونجد نفس الكلمة مثلا في آية أخرى افتتحت بها سور أخرى لكنها تنطق بمسمياتها لا بأسمائها، ف (ألم) في أوائل بعض السور أولها سورة البقرة تنطق بأسماء الحروف (ألف، لام، ميم) بينما تنطقها بمسميات الحروف في سورة الشرح قال تعالى: " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ " وفي أول سورة الفيل " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ ".

ولا يعني كون الفواتح الواردة في أوائل السور أكبر من الحروف -بمعناها المضيّق- أنها كلمات أو جمل بالضرورة، إذ لا تسري عليها الخصائص الصرفية للكلمة، أو القواعد النحوية المألوفة للجملة العربية، وبخاصة فيما يتعلق بقواعد الوصل والتسكين[5].

ومما يلاحظ أن أكثر الدراسات التي تناولت الحروف المقطعة بالدرس -باستثناء كتب القراءات_اهتمت فقط بالهيئة الكتابية لهذه الحروف وأهملت الواقع الفونيمي لهذه الأصوات[6]، ففي سورة مريم مثلا فرق واضح بين الرسم العثماني للفاتحة:(كهيعص) ونطقها في القراءات القرآنية:(ك-ا-ف ، ي-ا، هـ-ا، ع-ي-ن، ص-ا-د). وفي ذاك حذف للفونيمات الغائبة رسما الحاضرة نطقا وعددها ثمانية وهي:(ا-ف-ا-ا-ي-ن-ا-د). كما يُختزل المركب الفونيمي:(ح-ا،م-ي-م) إلى الفونيمين (حم) فالفونيمان الغائبان:(ا-ي-م)، وينتقل الواقع الفونيمي (صَ-أْ-دْ) إلى الفونيم (صَ) وفي ذلك تغييب للفونيمين:(ا-د) ولذلك أشباه ونظائر في بقية الفواتح.

ومن المعلوم أن المركبات الفونولوجية تحدد بالمقاطع، إذ تتكون كل لغة من وحدات صوتية صغيرة، مكونة من حركات وصوامت تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات كبرى، والأصوات البسيطة المفردة هي الوحدة الدنيا في بناء اللغة، والوحدة التي تلي الأصوات البسيطة هي المقطع "syllabe" وهي من أهم الوحدات اللغوية.

وفي تعريف محمد علي الخولي:"المقطع وحدة صوتية تتكون من عدة أصوات، ولكن يمكن أن تتكون من صوت واحد فقط بشرط أن يكون صائتا، ولكل مقطع نواة تأخذ النبرة المناسبة،وقد يكون المقطع كلمة مثل:(قف) أو جزءا من كلمة تتكون من مقطعين أو أكثر مثل:(اجلس) ، وللمقطع في كل نظام خاص يحكم عدد وترتيب الصوامت والصوائت"[7] .

وفي تعريف أحمد مختار عمر: "وحدة من عنصر أو أكثر يوجد خلالها نبضة صدرية واحدة: قمة إسماع أو بروز"[8]. ولعل هذا ما أراده عبد الرحمن أيوب:"مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة"[9].ويوضح هذا التعريف بقوله:"أصغر وحدة في تركيب الكلمة."[10]

ومن اللغويين من ركّز أكثر على الناحية الفسيولوجية فعرّف المقطع على أنه [11] "نبضة صدرية" أو:"وحدة منفردة لتحرك هواء الرئتين لا تتضمن أكثر من قمة كلامية" أو "قمة تموج مستمر من التوتر في الجهاز العضلي النطقي" أو "نفخة هواء من الصدر"

ولعل تمام حسان على توافق تام مع أحمد مختار عمر تشعر بذلك عندما تقرأ هذا التعريف "المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام أو وحدات تركيبية، أو أشكال وكميات معينة".[12]

وإذا عدنا إلى تعريف عبد الرحمن أيوب يمكن استنتاج ما يسمى: مكونات المقطع

1– القاعدة الأولى: وتنعت بالاستئناف وهو صوت صامت

2– القمة أو النواة، وهو صوت صائت قصير أو طويل.

3– القاعدة الثانية أو ذلك المقطع وهو صوت صامت أو صوتان أو يكون صفراً[13]

أشكال المقاطع العربية:

تعرف اللغة العربية أربعة أنواع من المقاطع هي: [14]

1– قصيرة: وهي المقاطع التي تتكون من صامت وحركة قصيرة ويرمز إليها بالرمز "ص ح" حيث ترمز(ص)إلى الصامت و (ح) إلى الحركة القصيرة، وتمثل هذا النوع من المقاطع؛ مقاطع الفعل "خرج" (خ+َ /ر+َ /ج+َ).

2– متوسطة: وهي على نوعين:

أ– مفتوحة: وهي المقطع التي تتكون من صامت وحركة طويلة ويرمز إليها بالرمز "ص ح ح" ويمثلها كل من "ما"، و "في" و "ذو".

ب– مغلقة: وهي تلك التي تتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت. ويرمز إليها بالرمز "ص ح ص" ويمثله كل من : "قَدْ"، "مِنْ" و "خذْ".

3– طويلة وهي على نوعين أيضا:

أ– طويل مفرد الإغلاق ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامت، ويرمز إليه بالرّمز "ص ح ح ص" ويمثله المقطع "ضال" من "الضالين" ومثله المقطع "مين" من "المسلمين" وذلك في حالة الوقف.

ب– طويل مزدوج الإغلاق ويتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت+ صامت ، ويرمز إليه بالرّمز: (ص ح ص ص) ويمثله كلمة بنت، شمس، قطّ، وحدّ، وذلك في حالة الوقف فقط.

4– مديدة، ولا تكون إلا وقفا، وتتكون من صامت وحركة طويلة ويرمز إليه بـ "ح ح ص ص" نحو سارّ، وحارّ وقفًا.

وهناك من فضل أن يطلق على هذه المقاطع الأسماء الآتية: [15]

المقطع القصير المفتوح (ص ح).

المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح).

المقطع المتوسط المقفل (ص ح ص).

المقطع الطويل المقفل (ص ح ح ص).

المقطع الطويل المزدوج الإقفال (ص ح ص ص).

هذه هي الإمكانات المقطعية في اللغة العربية، وكل مقطع من هذه المقاطع ينتهي بحركة فهو مقطع مفتوح "open"، وكل مقطع ينتهي بصامت فهو مغلق " closed" فالمقاطع العربية إما مفتوحة وإما مغلقة. وواضح تماما أن المقاطع القصيرة مفتوحة أبدا، والمتوسطة منها المفتوح ومنها المغلق، أما المقاطع الطويلة والمديدة فمغلقة أبدا.[16]

خصائص النظام المقطعي العربي:

دراسة نظام المقاطع في أية لغة من اللغات يساعد على معرفة الصيغ الجائزة فيها والصيغ الممنوعة أو الصيغ الدخيلة عليها، وبذلك يعرف النظام المقطعي المسموح به في النظام اللغوي المعين وتميزه عن بقية الأنظمة.

ومن خصائص النظام المقطعي العربي ما يأتي [17]:

-أقل ما تتركب منه الكلمة العربية هو مقطع واحد من، مثل حروف الجر: بِ لـ، وأكثر ما تتكون منه هو سبعة مقاطع، مثل كلمة: أنلزمكموها، وهذا. وهذا النوع من الكلمات التي تتألف من سبعة مقاطع نادر في اللغة العربية، وأغلب الكلمات المجردة لا تكاد تزيد عن أربعة مقاطع، وإذا اتصلت بها لواحق أو سوابق يمكن أن تزيد عن أربعة.

- المقطع العربي لابد أن يبدأ بصامت ولا يمكنه الابتداء بحركة كالانجليزية والفرنسية.

- لايجوز أن تبدأ الكلمة العربية بصامتين أو أكثر.

- يقلّ في اللغة العربية توالي مقطعين طويلين مفتوحين (ص ح ح) ولا يسمح بتوالي ثلاثة مقاطع منها في كلمة واحدة مجردة، فكلمة إبراهيم يقيد فيها توالي المقطعين (ص ح ح، ص ح ح) بضرورة تحريك المقطع الأخير هكذا (ص ح ص، ص ح ح، ص ح ح، ص ح). فعند الوقف يزول هذا التوالي وينشأ التركيب المقطعي إبراهيم هكذا (ص ح ص، ص ح ح، ص ح ح ص) باندماج المقطعين الأخيرين في مقطع واحد.

- لايقبل التركيب المقطعي العربي أن يتجاوز أو يتوالى أكثر من صامتين وسط الكلمة.

-لايجوز وقوع المقطع الخامس في صدر الكلمة العربية أو في حشوها. فهو مقطع خاص بحالة الوقف على آخر الكلمة. وقد يكون نسيجا لكلمة عربية واحدة مثل صِهْرْ، بِنْتْ.

- لا تقبل الكلمة العربية أن يتألف تركيبها المقطعي من مقطع طويل مغلق (ص ح ص) بعده مقطعان من الطويل المفتوح (ص ح ح) مثل.. إحراجا، أفذاذا.

- لاتقبل الكلمة العربية أن يتألف تركيبها المقطعي من المقطع الطويل المفتوح (ص ح ح) يتلوه مقطعان من النوع الثالث الطويل المغلق (ص ح ص) مثل كلمة شابَنْدَرْ الفارسية.

- لاتقبل الكلمة العربية أن تتألف من المقطع الثاني الطويل المفتوح (ص ح ح) يتلوه مقطع زائد الطول مغلق (ص ح ص ص) مثل كلمة جومَرْتْ الأعجمية.

- لايقبل النظام المقطعي توالي أربعة مقاطع من النوع الأول مثل: قرَأْ+ت=قرَأْتَ

- لايوجد في اللغة العربية المقطع المديد المغلق (ص ح ح ص)، إلا في حالة الوقف على الكلمة أو في وسطها، شرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق.[18]

تطبيق النظام المقطعي على الفواتح الحرفية للقرآن الكريم:

قبل الولوج في تطبيق النظام المقطعي على هذه الفواتح لا بد من إلقاء نظرة سريعة على الحروف المقطعة، مع مقارنتها بتقسيمات اللغويين المشهورة للأصوات حسب مخارجها وصفاتها المختلفة، وهي تدل بوضوح على أن اختيار هذه الحروف لا يمكن أن يكون عشوائيا:

وتفصيل ذلك أن الأصوات الصامتة في اللغة العربية تنقسم بحسب مخارجها –على المشهور– إلى أحد عشر نوعاً، هي (بترتيب المخارج من الشفتين إلى الحنجرة) كالتالي:

1.صوتان شفويان (ب–م)، تجد الميم من بين الحروف المقطعة

2.صوت أسناني شفوي (ف). ليس أحد الحروف المقطعة

3.أصوات ما بين الأسنان (ث–ذ–ظ).ليس منها حرف من الحروف المقطعة وقد تم استبعادها لصعوبة النطق بها.

4.أصوات أسنانية لثوية (ت–د–ض–ط–ل–ن).ثلاثة منها من الحروف المقطعة هي:الطاء واللام والميم .

5.أصوات لثوية (ر–ز–س–ص).ثلاثة منها من الحروف المقطعة هي الراء والسين والصاد.

6.أصوات لثوية حنكية (الجحيم الفصيحة والشين).ليس واحد منها واحد من الحروف المقطعة.

7.أصوات وسط الحنك (ي). وهو موجود في فاتحة سورة مريم:(كهيعص)

8.أصوات أقصى الحنك:(خ غ ك)، ويوجد منها حرف واحد في(كهيعص)

9.صوت لهوي (ق).وهو أيضا فاتحة سورته.

10.أصوات حلقية (ع ح)، والحاء فاتحة سبع سور (حم)

11.أصوات حنجرية (ء ه).

فنجد أن الحروف المقطعة "الأربعة عشر" قد توزعت على هذه المخارج كالتالي: الميم في المجموعة الأولى– الطاء واللام والنون في المجموعة الرابعة – الراء والسين والصاد في المجموعة الخامسة – الياء في المجموعة السابعة – الكاف في المجموعة الثامنة – القاف في المجموعة التاسعة – العين والحاء في المجموعة العاشرة – الهاء في المجموعة الأخيرة.

تقطيع الفواتح:

(الم) في بداية السور التالية:البقرة، آل عمران،الروم، لقمان، السجدة،العنكبوت

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ا	أ	ص ح	مقطع قصير
	لف	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
ل	لام	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
م	ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

والجدير بالملاحظة في هذا المقام:أن الرسم الحرفي (ا) يقابله مقطعان صوتيان اثنان أحدهما قصير والآخر متوسط، وهو الوحيد من نوعه، بينما يقابل مقطع واحد للرسم الحرفي (ل) وواحد أيضا ل(م). كما تنبغي الإشارة ههنا إلى أن المقطعين اللذين يتحدان لتكوين الألف يختلفان كليا عن بقية المقاطع. وفيما يأتي بيان لذلك.بينما يتكرر المقطع (ص ح ح ص) في اللام والميم، مما ينتج عن ذلك تناغم موسيقي يوحي بالتوازن العاطفي والانفعالي مما يعطي راحة نفسية للقارئ ناجمة عن الاستقرار والتوازن الموسيقي الذي يدخل القارئ والسامع معا في جوّ السورة ويعتبر مرحلة فاصلة قبل وبعد التلاوة. وليس هذا هو القاسم المشترك الوحيد بين الحرفين حيث اشتركا في كل الصفات وهي الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح والإصمات ولا يختلفان إلا في انحراف أولهما وإلحاق الغنة بثانيهما .

كما أن الحرفان (م) و(ل) يتتابعان كذلك في نسق الألفبائية العربية ونظامهما المقطعي متماثل مع ما جاء في القرآن الكريم[19]، مما يرجح الرأي القائل بأن هذه الحروف المقطعة في بداية هذه السور إنما جاءت لتعليم الناس الألف بائية في عهد الأمية نطقا وكتابة[20] .وينبغي التنويه هنا أن هذا المقطع نوع من الحالات الخاصة المكروهة في غير ماوضعت له . وتأباه العربية ولا تكاد تستسيغه على حد قول د.فوزي الشايب:"أما المقطع الطويل الآخر وهو (ص ح ح ص) فإنه يوجد في النثر كثيرا في باب شابّه ودابّه، كما أنه يكثر أيضا في أواخر الكلم في حالة الوقف مثل المقطع: "مين" من المسلمين، والمقطع "بون" في آخر الفعل "يكتبون". فهذه هي الحالات التي يرد فيها هذا النوع من المقاطع، ومن ثم فإن المجيئ به وصلا في غير ماذكرنا مكروه تأباه العربية ولا تكاد تسيغه".[21]

المص: وهي فاتحة سورة الأعراف

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ا	أ	ص ح	مقطع قصير
	لف	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
ل	لام	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
م	ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ص	صاد	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

رب ملاحظ يلمس تطابق الجدولين فلا خلاف إلا في آخر ركن وهو الخاص بآخر مقطع صاد وهو الحرف الوحيد الذي أضيف إلى: (الم)، وهذه البداية اتسمت بها سورة واحدة هي الأعراف لذا فلا عبرة من إعادة سرد قصة أوائل المقاطع ولابد من الاكتفاء بآخر مقطع وهو الصاد.

والصاد حرف مهموس رخو مستعلي مطبق، وهو لثوي احتكاكي[22]،

وفيه إشارة لمصاحبة الصاد والميم، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصّدّيق لمحمد لى الله عليه وسلم ومتابعته له.[23]

وينبغي التنبيه هنا إلى حضور صوت الدال لفظا لا كتابة، وهو حرف مجهور شديد، وهو مستقل منفتح مصمت من حروف القلقلة[24].

المر: من الملاحظ جليا أن الله تعالى أضاف(راء) على (الم) ويرجح العلماء أنها أضيفت للدلالة على الرعد وهو اسم السورة.

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ا	أ	ص ح	مقطع قصير
	لف	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
ل	لام	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
م	ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ر	را	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح

وحرف الراء مجهور متوسط الشدة والرخاوة ،ومن صفاته أيضا الاستفال والانفتاح والانذلاق والانحراف والتكرير[25]. "وينطق به بترك اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرقق اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات مكررة، وهذا معنى التكرار في صفته"[26].

ورب ملاحظ يرى أن الراء في نسق الألفبائية مقطع طويل مغلق (راء=ص ح ح ص) لكنه هنا مقطع متوسط مفتوح. ويردّ ذلك إلى أنّ الهمزة أقرب الأصوات إلى الألف ، وبها ينقطع مدّ الصوت عند النطق بالألف ولذلك كانت تهجئة كل اسم من أسماء حروف الألفبائية آخره ألف، بل تقطع الألف بالهمزة غالبا.[27]. ورأى "الخليل أن بعضهم يقول :رأيت رجلأ فيهمز، ورأيت حبلأ ، وتقديرهما : رجلا وحبلا، فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة فأراد أن يجعلها همزة واحدة، وكان أخف عليهم، وسمعناهم يقولون: هو يضربهأ، فيهمز كل ألف في الوقف كما يستخفون في الإدغام، فإذا وصلت لم يكن هذا؛ لأنّ أخذك في ابتداء صوت آخر يمنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية في السمع".[28]

فإن قيل وما دامت تلك حالها فلم لم تهمز الحاء في القرآن الكريم؟ فنردّ بما قاله د– فوزي الشايب حين قال:" عد بعض الدارسين كره العربية لتوالي المقاطع الطويلة المفتوحة وميل العربية إلى إغلاق المقاطع المفتوحة ولا سيما في غير الشعر؛ من خصائص البنية المقطعية فيها"[29]. ولعل د –فوزي الشايب وضع يده هنا على السبب وراء إتيان هذه المقاطع مفتوحة رغم كره اللغة العربية لها لأن ذلك يكون خارج الكلام الموزون ومنه الشعر؛ وإذا قلنا أن في القرآن وزنا على غرار الشعر؛ومن ثمّ تنطبق عليه هذه الظاهرة –ولله المثل الأعلى– كما أن أغلب المقاطع جاءت طويلة مغلقة: مثل (لام) و(صاد).. لذا كان لا بد من كسر الرتابة الصوتية، إذا لم نأخذ بالاعتبار صعوبة النطق بالهمزة وتفادي هذا النوع من المخارج في الحروف المقطعة.

ولعلنا لا نغفل هنا السبب الرئيس قبل هذا وذاك أن الحروف المهموزة في نسق الألفبائية ، ماوقع منها في الحروف المقطعة كلها تمد مدّ قصر مع إهمال الهمز، ومقدار المد فيها قدر حركتين، مثل قولنا حاز أو حار. وهذا ما يسمى في أحكام التلاوة بالمد الطبيعي.[30]

الر:ابتدأت بها سورة: يونس،هود ، يوسف ، إبراهيم ،الحجر.

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ا	أ	ص ح	مقطع قصير
	لف	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
ل	لام	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ر	را	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح

مرت بنا كل هذه الحروف لذا لا حاجة للتفصيل في مخارجها بيد أنه لا بد لنا من الإشارة إلى أنها متألفة من أربعة مقاطع حسب القراءة القرآنية ، وتنوعت هذه المقاطع بين القصير(ص ح) الذي يتميز بسرعته وخفة حركته لأنه لا يقع فيه مدّ والمقطع المتوسط المغلق(ص ح ص) حيث يعمل هذا المقطع بخصائصه وسماته الصوتية على نوع من التلوين الصوتي في التآلف الموسيقي بشكل متناوب مع المقطع القصير، والمقطع الطويل المغلق(ص ح ح ص)الممدود مدا لازما

بمقدار ست حركات وانتهت بالمقطع المتوسط المفتوح الذي له دور بارز في إضفاء إيقاع موسيقي متميز بمده مد لين بمقدار حركتين فقط[31].

كهيعص: ابتدأت بها سورة واحدة فقط هي سورة مريم

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ك	كاف	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ه	ها	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
ي	يا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
ع	عين	ص ح ص ص	مقطع طويل مزدوج الإقفال
ص	صاد	ص ح ح	مقطع طويل مغلق

الكاف:" يتم النطق به عن طريق رفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي، مع فتح الأوتار الصوتية كما يعد هذا الحرف طبقيا شديدا مهموسا مرقّقا"[32] وهو يوحي بشيء من الخشونة والحرارة والقوة الانفعالية.[33]

أما بالنسبة **لصوت الهاء** : فهو صوت مهموس رخو،اختلفوا في مخرجه من أقصى الحلق أو وسطه وذلك لا يخفى أنه تابع لكيفية النطق به فمن أشبعه ورفع نبرته ؛ وجده يخرج من أقصى الحلق. ومن خفت بصوته فلا بد أنه واجد إياه خارجا من وسط الحلق . وهو صوت حنجريّ احتكاكيّ مضطرب مهزوز.[34]

صوت الياء:

الياء لينة جوفية ،وهو صوت لين جوفي مرقق، يتكون برفع مقدم اللسان في اتجاه الغار ، ورفع الطبق حتى يسد المجرى الأنفي، مع تذبذب الأوتار الصوتية.[35] لكن صوت العين حلقي احتكاكي[36] مجهور وعند النطق به تتذبذب الأوتار الصوتية ويندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى[37]. وهو يوحي بالفعالية والإشراق والظهور والسمو.[38]

يظهر أنه لا ضرورة للعودة إلى حرف الصاد المدروس سابقا في (المص) بداية سورة الأعراف. لذا تجدر هنا مناقشة الخاصية المقطعية لهذه الحروف.

تتكون (كهيعص) من خمسة مقاطع حسب القراءة القرآنية ، تكرر فيها المقطع المفتوح المتوسط مرتين كما تكرر المقطع الطويل المغلق ليحدث نوعا من الانسجام الصوتي لكننا هنا لا ننسى المقطع الطويل مزدوج الإغلاق والذي تخلل المقاطع المنتظمة ليحدث نوعا من الاستدراك دافعا القارئ والسامع معا إلى التدبر والتفكر بعدما ساد جو من الخشوع والطمأنينة على وقع خطى المقاطع المنتظمة. وننوه هنا أن مثل هذا المقطع (ص ح ص ص) مقتصر على حالات الوقف، وهو قليل الورود في الكلمات العربية باستثناء بعض الأوزان المقيدة .[39] وروده في القرآن تخطى الشروط المعهودة في الشعر والنثر، ولعل ذلك يندرج ضمن الإعجاز القرآني.

طه : وردت مرة واحدة في سورتها

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه

ط	طا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
ه	ها	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح

الملاحظ هنا تكرار المقطع المتوسط لإضفاء نوع من الاستقرار على نفسية النبي محمد وطمأنته،فالطاء: حرف مجهور شديد مستعل مطبق مصمت من أصوات القلقلة، وصوت هذا الحرف إنّما هو تفخيم للتاء الرقيقة. [40]أمّا الهاء فقد مرّ بنا هذا الحرف في بداية سورة مريم (كهيعص)

ولابأس هنا بإيراد هذه المقارنة بين صفات الحرفين لإظهار أنّ الهاء أليق الحروف بالطاء والعكس.

ط	الجهر	الشدة	الاستعلاء	الإطباق	الإصمات	القلقلة
ـه	الهمس	الرخاوة	الاستفال	الانفتاح	الإصمات	

طسم : بداية سورتي الشعراء والقصص.

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ط	طا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
س	سين	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
م	ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

تم الحديث عن حرفيّ الطاء والميم سابقا ولم يتبقّ من هذا المقطع سوى السين. وهو صوت لثوي احتكاكي مهموس رخو مستفل منفتح مصمت وهو من أصوات الصفير أيضا.[41] لا تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به ويعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا وتلتقي مقدمته مع اللثة العليا، مع وجود منفذ ضيق للهواء، ويرفع أقصى الحنك حتى يمنع مروره من الأنف [42] .

وتتكوّن الآية من ثلاثة مقاطع يتكرّر الثاني الذي يمثّل مقطعا طويلا مغلقا.فالأول يمد مدّا طبيعيا بقدر حركتين (طا) والسين يمد مدّا لازما بمقدار ست حركات والميم أيضا ست حركات لأجل ضبط فاصلة السورة.

طس: بداية سورة النمل

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ط	طا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
س	سين	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

لا بأس بالتذكير في هذا المقام بصفات الحرفين المتنافرين الذين جمعا كلّ صفات الحروف على حدّ عكسي فما توفر في الأوّل تجد عكسه في الثاني.

ط	الجهر	الشدة	الاستعلاء	الإطباق	الاصمات	القلقلة
س	الهمس	الرخاوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	الصفير

يس : في بداية سورتها

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ي	يا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح

س	سين	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

تمدّ الياء مدّا طبيعيا بمقدار حركتين بينما تمدّ السين مدّا لازما بمقدار لمحركات محدثة نوعا من التنويع لإبعاد السأم عن السامع .

ص : في بداية سورتها مقطع واحد

ص	صاد	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

وكونه طويلا معناه يمدّ مدّا لازما بمقدار ست حركات .والجدير بالذكر هنا أنّ السور الأحادية المقطع مبنية الفواصل على ذات الحرف بل تجده حتى في المتن وهذه السورة أهمّ مثال .[43]

حم: تكررت سبع مرات في بداية الحواميم وهي غافر –فصلت– الشورى– الزخرف– الدخان– الجاثية– الأحقاف بإضافة (عسق) إلى بداية الشورى.

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ح	حا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
م	ميم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

مرّ بنا حرف الميم منذ بداية هذه الدراسة غير أنّ حرف الحاء لا يوجد في غير الحواميم رغم أنّه أكثر الحروف المقطّعة تكرارا لكنّ تكّرره هذا لم يتجاوزها، وعددها سبعة . وإليك صفات الحرفين [44]

ح	الهمس	الرخاوة	الاستفال	الانفتاح	الإصمات	الصفير
م	الجهر	التوسّط	الاستفال	الانفتاح	الإذلاق	الغنة

ولا تفوتنا الفرصة في هذا المقام ذكر بعض خصائص حرف الحاء الذي يحدث صوته باندفاع النفس بشيء من الشدة مع تضيّق قليل مرافق في مخرجه الحلقي، فيحتك النفس بأنسجة الحلق الرقيقة ، ويحدث صوت هو أشبه ما يكون بالحفيف. وهكذا .. شذّ صوت هذا الحرف عن الحروف الحلقية جميعا ، بأن تحولت اهتزازاته الصوتية الواهية المضمرة إلى حفيف . وإخراج صوت الحاء من على صفحات الأنسجة الحلقية دون اهتزاز أو اضطراب يتطلّب مهارة عفوية فائقة في التحكّم بخلايا هذه الأنسجة الحساسة لمنع النفس من الاهتزاز والاضطراب لحظة احتكاكه بها. ولهذا السبب من الصعوبة الفائقة النطق بصوته[45].

دعت الحكمة الإلهية تناوب المقطعين في تناسق معهود بين الأول المتوسط الذي يمد طبيعيا بمقدار حركتين بيد أنه يبدأ بأصعب الحروف نطقا لكنه تركه مفتوحا كيلا يزيد صعوبة على صعوبة، وبين المقطع الطويل ذو الستة مدود الذي يبدأ بأسهل الحروف نطقا على الإطلاق كيف لا وهو صوت الميم الذي يعتبر أول حرف ينطق به الرضيع مستجديا أمه. ولا يضيع ذوي النّهى في إدراك بعض ما يشير إليه ذلك من تداول الأيام ، فبعد العسر دائما يسر وفُسَحُ الرّحمان أوسع وأطول لكننا لا ندركها إلا أيام الضيق.

عسق : بداية الشورى بعد حم.

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ع	عين	ص ح ص ص	مقطع طويل مزدوج الإغلاق

س	سين	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
ق	قاف	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

جمعت (عسق) كل الممنوعات: مقطع طويل مزدوج الاغلاق ومقطعين طويلين مغلقين. لكن الممنوعات عند البشر تمام الإعجاز عن الخالق ومركز البلاغة وحسن التأليف والتناغم الصوتي.

والملاحظ هنا أن حرف القاف هو الوحيد الذي لم يذكر سابقا، وهو حرف شديد يلفظه بعضهم مجهورا ، وبعضهم يلفظه مهموسا، يوصف بأنه للمفاجأة ويصفه بعضهم بأنّه للمقاومة ، وكلا الوصفين يفضيان به للأحاسيس اللمسية من القساوة والصلابة والشدة. والأحاسيس البصرية والسمعية مثل فقاعة تنفجر، أوفخارة تنكسر، ولا بأس من هذه المقارنة بين صفات هذه الأصوات التى كونت بداية سورة الشورى(عسق).[46]

ع	الجهر	التوسط	الاستفال	الانفتاح	الإصمات	
س	الهمس	الرخاوة	الاستفال	الانفتاح	الإصمات	الصفير
ق	الجهر	الشدة	الاستعلاء	الانفتاح	الإصمات	القلقلة

ق : في بداية سورتها

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ق	قاف	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

أمامنا (غير بعيد) جدول الصفات التي تعرض كلّ المواصفات التي جمعها القاف من جهر وشدة واستعلاء . ويمكننا ذكر الإيحاءات المعنوية التي يمكن لهذا الحرف إضافته إلى السورة، خاصة إذا عرفنا أنّ السور ذات الحرف المقطّع الواحد مبنية كلماتها على ذلك الحرف، والسورة تعجّ بالكلمات القافية إذ بلغ عددها57 كلمة في 45 آية. وهذه الكلمات مثل: تلقّى ، قرآن ، خلق، قول ، قريب...

ن : بداية سورة القلم

الحرف	المقطع	رمزه	نوعه
ن	نون	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق

والنون صوت مجهور متوسط مستقل منفتح منذلق تلحقه الغنة 47. والنون ذو الغنة أصدق الأصوات تعبيرا عن الألم والخشوع. والنون المرقّقة توحي بالأناقة والرقة والاستكانة، والمشدد يوحي بالانبثاق.[48] وعند النطق يندفع الهواء من الرئتين ثم يتخذ مجراه في الحلق حتّى إذا وصل هبط أقصى الحنك الأعلى فيسدّ بهبوطه فتحة الفم فيتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع.[49]

وبدون عناء ملاحظة تجد فواصل هذه السورة جاءت نونية واحتوت في حشوها كثيرا من الكلمات التي شكل النون أحد حروفها إذ وصل عدد الكلمات النونية 131 ضمن 52 آية . وهذه ظاهرة صوتية جديرة بالانتباه والدراسة لأن النون لم تتكرر وحدها، إذ لا يخفى على سامع كيف أن الواو المدية التي تخللت المقطع وأكسبته ذلك الطول بمقدار المدود الستة كيف يتكرر في فواصل السورة:ن،يَسْطُرُونَ،مَمْنُونٍ، يُبْصِرُونَ، الْمَفْتُونُ ،تُدْهِنُونَ . وتقلب ياء أحيانا:الْمُهْتَدِينَ ،الْمُكَذِّبِينَ، مَّهِينٍ، بَنِينَ.

بعد استعراض كل المقاطع وبمراجعة خاطفة للجداول يمكننا إحصاء أكثر أنواع المقاطع شيوعا وهو المقطع الطويل المغلق حيث تكرر عشرين مرة (20) من مجموع أربعين مقطعا(40) وهذا يعتبر النصف بنسبة 50% من المقاطع وهي نسبة مرتفعة خاصة إذا عرفنا أن هذا النوع من المقاطع متحفظ عليه في لغة البشر إلا في موضع الضرورة الشعرية والوقف في أنواع خاصة من النثر كالخطبة والمقامة.

بينما كان تكرار المقطع المتوسط المفتوح 10 عشر مرات بنسبة 25% من مجمل المقاطع.

أما المقطع الطويل المزدوج الإغلاق فهو الأقل تكررا سواء في اللغة البشرية أو الإلهية فلم يتكرر سوى مرتين في الفواتح بينما تكرر المقطع القصير والمتوسط المغلق بصفة متوازنة بين الاثنين وهي أربع مرات للنوع، ولعل المرجح من تكرار المقطع الطويل المغلق بصفة لافتة ؛ هو إراحة الحنجرة حيث يستغرق نطقها زمنا أقل . وهي ملائمة لمواقف الحزم والجزم والقوة مما يتلاءم مع السور المكية وجوها العقائدي الممزوج بالترغيب والترهيب(والله أعلم).

5. قائمة الإحالات:

[1] _ينظر: بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت ، 1972 ج1 ص167.

[2]_ ينظر بدر الدين الزركشي: المرجع نفسه ص 167.

[3]_ علم اللغة العام ص 160 نقلا عن حسام البهنساوي ، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ص 133. يسميه محمد علي الخولي بالفونيم الأولي وهو الذي يتكون من وحدة صوتية واحدة. ينظر معجم علم الأصوات، ص 127.

[4] إحسان طه ياسين: الحروف المقطعة في القرآن، دراسة تفسيرية ،جامعة تكريت للعلوم، العدد 4 نيسان المجلد 19،ص 173.

[5] ينظر:دحسين خليفة الرميح: المركبات الفريدة في مفتتحات السور القرآنية " مقاربة صوتية". مجلة جامعة السابع من أبريل ، العددالسادس سنة 2004ف، ص 165.

[6] كتب التفسير، وكتب الإعجاز والمقالات التي اهتمت بهذا الموضوع.

[7] محمد علي الخولي: معجم علم الأصوات، دار الفلاح، 1998ص160 . مدخل معجمي مقصّرة

[8]- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة،مصر ،1991، ص285.

[9] - عبد الصبور شاهين:القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث،مكتبة الخانجي 2006، ص 62.

[10] - عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة مطبعة الكيلاني، مصر،ط1968،2 ،ص 139.

[11]- أحمد مختار عمر: مرجع سبق ذكره ص 285.

[12]- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ،مكتبة الأنجلو المصرية،سنة1990 ،ص 170.

[13]- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،مكتبة نهضة مصرومطبعتها ص 218.

[14]- الشايب فوزي: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديثة 2004ص 100-101.

[15]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة (ص173).

[16]- فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ص101.

[17]- انظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الإسلامية (ص214-224)، كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب القاهرة، (ص509،510).

[18]- انظر فوزي الشايب أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ص 108.102.

[19]- ينظر منير تيسير منصور شطناوي، وعمر راشد خليل : الإيقاع الصوتي في نسق الألفبائية العربية، مجلة جامعة دمشق العدد الأول+الثاني2010 المجلد 26.ص 283.

[20] ينظر : بدر الدين الزركشي : البرهان ج1 ص175.

[21] - المرجع نفسه ص 108

[22] – ينظر جدول ملخص صفات الحروف في مطوية مخارج الحروف والصفات تأليف عبد السلام فليسي– دار المفكر– الجزائر منقحة أو: عند مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 94/93.أو في الملحق الموجود في آخر مصحف التجويد الملون: _ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع خطّ حروف كلماته بالرسم العثماني الخطاط عثمان طه جود حروفه الدكتور المهندس صبحي طه بموجب براءتي اختراع للترميز الزمني واللوني وللفراغ الوقفي الاختياري، بأحكام النقل والتسهيل والإبدال والتقليل والإمالة والمدود والإدغام، والإخفاء، والإظهار والإقلاب والتفخيم والترقيق والقلقلة منفذة مع شرحها في آخر المصحف الشريف، على ما قرأ به أبو عمرو الداني على شيخه أبي القاسم بن خاقان عن أبي جعفر التجيبي عن إسماعيل النحاس عن أبي يعقوب الأزرق عن ورش عن نافع ، حازت شرف إصدارها تأسيسا على نسخة مأذونة أصولا من الدار الشامية دار المعرفة،مطبعة الثريا طبعة 1437.

[23]– الزركشي، البرهان (ج170/1).

[24]– ينظر عبد السلام فليسي: مخارج الحروف والصفات. مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 94/93.

[25] – عبد السلام فليسي: مخارج الحروف والصفات(مطوية صادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 94/93.

[26]– تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص 104.

[27]– ينظر منير تيسير شنطاوي وعمر راشد خليل : الإيقاع الصوتي في نسق الألفبائية العربية ص 280,

[28] – ينظر: أبو بحر عثمان قنبر(سيبويه): الكتاب؛تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية بيروت ط2 سنة 1902 ح4ص177،176.

[29] – أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ص102 وكذلك ص 140.

[30] – ينظر الملحق الخاص بأحكام التلاوة آخر مصحف التجويد .

[31]– ينظر كمال بشر علم الأصوات 304 وعباس حسن المصدر السابق ومصحف أحكام التجويد الملون برواية ورش عن نافع

[32] – تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص 95، 96.

[33] – ينظر عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 70.

[34] – ينظر :كمال بشر : علم الأصوات ص 304/ عباس حسن المصدر نفسه ص 191.

[35]– ينظر: تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص 108.

[36] – هو أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكا لذا تجد من العلماء من يصنفه مع الأصوات الرخوة وآخرين يصنفونه مع الأصوات البينية المتوسطة.

[37]– تمام حسان: المرجع نفسه ص 102 إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص 89.

[38]– ينظر عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها ص99.

[39] – ينظر: فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ص 114 تجد قوله:" فالمقطع الطويل من نوع (ص ح ص ص) لا تسمح به العربية إلا في الوقف فقط ، وذلك في النثر، وفي بعض الأوزان الشعرية المقيدة القافية ، ومن ذلك قول الشاعر:

يا قوم أهلكتموني باللوم ولم أقاتل عامرا قبل اليوم " ينظر أيضا سيبويه الكتاب ج 3 ص 590.

[40]– ينظر عباس حسن خصائص الحروف العربية ومعانيها– دراسة ص 119–120

[41]– ينظر عبد السلام الفليسي مخارج الحروف والصفات. مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 94/93.

[42]–كمال بشر :علم الأصوات ص301.

[43]– انظر بدر الدين الزركشي : البرهان ج 1 ص 169–170.

[44]– انظر مثلا عبد السلام فليسي الحروف والصفات.

[45]– ينظرعباس حسن خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 181.

[46]– عباس حسن خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 144.

[47]– عبد السلام فليسي: مخارج الحروف والصفات/ مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد ص 94/93.

[48] – عباس حسن:خصائص الحروف العربية ومعانيها 145.

[49]–كمال بشر علم الأصوات ص277 .